كيف أكون مسيحيًّا؟
بحسب فكر القدّيس باسيليوس الكبير

مضمون الجزء الثّاني

- مقدّمة
- تماهي القلب مع الثَّروة والنَّزوة
- محبّة الذات خرق للشريعة الإلهيّة
- العمل وجني الأموال
- مقارنة بين كرم الله وبخل الإنسان
- الغنيُّ والفقير في لاهوت القدّيس
- خاتمة الجزء الثاني

مقدّمة

- بعد أن انطلقنا في الجزء الأول من دراستنا حول المفهوم الأوّليّ كيفَ أكون مسيحيًّا وكيف عاشَها القدّيس، سنُحاول الغوص أكثر من خلال الدُّخول إلى قلب الإنسان وحياتِه اليوميّة عبرَ محبّة الذات وجني الأموال، الغِنى والفقر، كرم الله وبخل الإنسان.

تماهي القلب مع الثَّروة والنَّزوة

- يُشَدِّد القدّيس على موت الإنسان روحيًا حيثُ يَجمع ويُخبّئ أموالَه بدلاً من أن يكنِز له كُنوزًا حيثُ لا يفسُد السّوس.

- يَظهر هُنا تَعلُّق القلب بِالكَنز الزّائِل، مع العِلم أنَّ الله يُعطي الحياة للنفس غير المُتعلِّقة بخيرات الأرض.

محبّة الذّات هي خرق للشّريعة الإلهيّة

- الشّريعة الإلهيّة واضِحة مع يسوع المسيح "أحبِب قريبك كنفسك".
- هُنا قمّة التّحدي فيسأل القديسُ باسيلوس الإنسانَ إلى أيّ حدّ هوَ مُتمسِكٌ بِمنفعتِه الخاصّة ومالِهِ الكثير، تارِكًا قريبه لبؤس الحياة مَع العِلم أنَّهُ يأتي يوم يَجلس فيه لِعازَر في حُضنِ الآب والغنيّ حينَ ينال جزاءَه.

العمل وجني الأموال

- شدَّد القدّيس في موضوع العمل وجني الأموال فلا يجب أن يكونا للكسب الشخصيّ.
- في هذا المجال عبَّرَ القدّيسُ في لاهوته عن بخل الغنيّ ماديًا بالرُغمِ مِمّا منحهُ إيّاه الله من خيرات فهو لا يعمل على مُشاركةِ الآخرين.
- **يجب عدم العمل بأنانيّة وَحِقد:** إذ نَسيَ الغنيّ أنَّ مُقابل العطايا الماديّة، عليه الالتفات للعطايا الروحيّة التي تنتَظره.
- يجب تخلّي الإنسان عن كسبِه الشخصيّ وتحويله إلى الآخرين الّذين حُرِموا منها.

مقارنة بين كرم الله وبخل الإنسان

- يُقيمُ القدّيس مُقارنةً واضِحةً بين عطايا الله غير المحدودة وبخل الإنسان المُهلِك لنفسه، فأوضحَ المُقارنة عبر صورة الأرض التي تُعطي الثَّمر الكثير وهي لا تستفيد منهُ بل تمنحه لكلّ الناس، بينما بخل الغنيّ يَترُك أثرًا بَشِعًا في نفوس الناس لأنّه يعتقِد أنه بِمالِه الكثير يستطيع الحُصول على الشّهرَة وَالصّيت الكبيرَيْن ناسِيًا أنَّ الشّهرة َالحقيقيَّةَ هي تلكَ الأرضُ الطيّبة التي تَقعُ فيها حبّةُ الحنطةِ فَتُثمِر وتُطعِم الكثيرين.

الغنيّ والفقير في لاهوت القدّيس

- يتحدَّث القدّيس في لاهوته عن الغنيّ والفقير وَيُحَدِّد مَن هُما بِنَظر الله ويبدأ تحليله بتنبيه قاسٍ وَمُخيف للغنيّ الَّذي يحيا بِجهالةٍ كبيرة وبِشهوات رديئة (حبّ المال، لذّات فاسِدة، قلق دائِم، إجرام، مجد باطِل)، غير مُدرِك أنَّ نهايتَهُ ستكون وَخيمة مُذرية بائِسة في قبرٍ لا يتعدّى طولُه ثلاثة أذرُع.
- هذا التنبيه الَّذي أعطاه القدّيسون ليسَ ليَدينَ الغنيّ بل ليسعى من خلال حُبّه للمسيح وخوفه على الأنفُس من الهلاك أن يُخلِّص نفس الغني.

- انطلاقًا من قناعة القدّيس هذه، استطاعَ بناء وتشييد مدينة البازيليك التي ساعدَ الأغنياء بِدَوْرِهم في بنائها بحيث استطاعَ بِنعمةٍ خاصة من الله أنّ يُحرِّك قساوة قلوبهم.
- بالنسبة للفقراء فقد دعاهم القدّيس لعدمِ الخوف وأن لا يكونوا بؤساء وهذا الفعل يذكِّرنا بإنجيل يسوع المسيح القائِل "لا تَخف أيها القطيع الصغير" فالدّعوة لعدم الخوف نراها في كل الكتاب المقدّس، "لا تخف أيُها الفقير من الجوع وَالعطش والبرّ والعري..."، "لا تَخف أيضًا بعدَ موتِكَ من ألا تكون مُخَلَّصًا لأنكَ حبيب قلب الربّ" وأحباء الربّ يُعاينونه.

- استنادًا إلى الكتاب المقدَّس، المسيح كانَ واضِحًا في مجيئه، إذّ أحبَّ أن يأتي بأقصى درجاتِ الفقر في مِزوَدٍ حقير، فقد فعلَ ذلك ليساويَ نفسَهُ بالفقير العبد وليَرفع مكانةَ الفقير مُقابِل الظُلم والطّغيان، فرُبّما لو أتى المسيح غنيّا (حسب مفهومنا عن الغِنى المادّيّ) لَطُرِحَت علامات استفهام كثيرة حولَ رِسالتِه الخلاصيّة.
- علينا أن لا ننسى أنَّ اللهَ رأسُ الحكمةِ وقمّةُ المحبّةِ وقد اختارَ حياةً مِلْؤُها التواضُع والفقر، هذا لا يعني أنَّ الغنيَّ غير مَعنيّ بِالخلاص وأصدَق مَثل على ذلك مثل القدّيس متّى الَّذي كانَ عشّارًا ميسورَ الحالِ فتركَ كُلَّ شيء وتبعَ المسيح وصارَ قدّيسًا عظيمًا.

خاتمة الجزء الثّاني

- انطلاقًا ممّا عرضناه في هذا الجزء نسأل العديد مِن الأسئلة:

مَن يخلُص؟، كيف يجب أن أخرُج مِن أنانيَّتي وَمِن ذاتي لأخلُص؟، هل كُل الفقراء مُخَلَّصون وكُل الأغنياء هالِكون؟، أيهُما يَخلُص الفقير المُتَزمِّت أم الغنيّ المتواضِع؟

- **المراجِع والمصادر:**

كافة المراجِع والمصادر المذكورة في الجزء الأول مِن الدِّراسة هي نفسها مُستَخدمة في كافّة الدِّراسة.

إعداد: أندريه نصّور